الظلم والعنف البنيويّين: تشويه الإيمان والخيار الصعب بين النضال اللاعنفيّ والنضال العنفيّ

خريستو المرّ

عند التأمّل بموضوع العنف في الحروب لتلمّس قراءة مسيحيّة، من الضروري وضع هذا التأمّل في إطار الواقع لئلا يأتي الكلام عامّا منفصلاً عن واقع الظلم والتوق لتحقيق العدالة، وتبقى المبادئ مجدبة غير قادرة على إلهام الواقع. من جهة أخرى، ينبغي الانتباه كي يأتي التحليل ملتصقًا بإنجيل يسوع المسيح وحياته وتعاليمه، لئلاّ ينحدر التحليل إلى واقعيّة تستسهل الحلول التي تبرّر أشنع الممارسات وتخالف مبادئ الإيمان بيسوع المسيح.

ظلم العنف السافر: بعضٌ من واقع

تخضع البقعة الجغرافيّة الممتدّة بين غرب آسية وشمال أفريقيا (العالم العربيّ) لعنف خارجيّ مستمرّ منذ حوالي المائتي عام؛ فبين حملة نابليون على مصر ١٧٩٨ وغزو العراق من الجيش الأميركيّ عام ٢٠٠٣ كان العالم العربيّ مسرحا لغزوات واحتلالات وحملات عسكريّة أوروبيّة وأميركيّة واسرائيليّة متتالية (مدعومة من قوى إقليميّة) بالإضافة إلى حروب عربيّة-عربيّة بتدخّل أوروبيّ أو أميركيّ مباشر، وقد أحصينا ستّة وعشرين حربًا بمعدّل حرب واحدة كلّ حوالي ٨ سنوات ونيّف (جدول ١)، رافقها تهديم إنسانيّ وأخلاقيّ ومعنويّ ومادّي، وهدرٍ للثروات، ونهبٍ لها.

إنّ هذه الحروب التي تهدف، ككلّ الحروب، إلى استغلال موارد هذه البلاد وإخضاع سكّانها الأصليّين، هي من العوامل الأساس المسؤولة عن عدم تقدّم البلاد العربيّة على طريق الازدهار والحرّيات العامّة؛ بالإضافة لأنظمة الحكم القمعيّة المتحالفة مع العدوان والاستغلاليّ الخارجيّين. في هذا المحيط، تتميّز الحرب اللبنانيّة بقيام ميليشيات عَرَّفَت على نفسها بأنّها "مسيحيّة" بخوض الحرب وارتكاب المجازر، ومن هنا تكتسب أهمّيّة خاصّة.

ظلم العنف الخفيّ: ذاك العنف المنسيّ

بالإضافة إلى العنف الحربيّ، هناك عنف آخر منسيّ ألا وهو عنفُ القمعِ السياسيّ، في فترات "السلم"، والذي يعمل على أسر إرادة وأجساد ملايين من المواطنين، ويرتكب بحقّ الكثيرين منهم التعذيب والقتل. وهناك أيضًا عنفٌ "ناعمٌ" أكثر خبثًا، يقتل كما يقتل العنف الدمويّ، وإنّما بصمت دون إسالة دماء. فتحت مسمّى "الموت" من المرض تقتل أنظمة الاستغلال الداخليّة-الخارجيّة المواطنينَ بتلويث بيئتهم (مياه، هواء، غذاء) وإهمال معايير السلامة؛ وإهمال الخدمات الطبّية المجانيّة... وتحت مسمّى "التسرّب المدرسيّ" تخفي نظم الاستغلال واقع مساهمتها المباشرة بتفقير عائلات تلجأ إلى دفع أولادها للعمل المبكر. وأمّا مسمّى "مستويات الذكاء" المنخفضة، فيخفي مسؤوليّة نظم الاستغلال عن قلّة التغذية والفقر وأثرهما على الدماغ. إلى ما هنالك من عنف جسديّ ومعنويّ يحدث بصمت تحت ستار "حال الدنيا" و"طبيعة الحياة".

ظلم عنف الفصل العنصريّ الاسرائيليّ

وهناك حالة خاصّة من العنف السافر والمعنويّ الذي يتعرّض له الفلسطينيّون داخل كامل فلسطين المحتلّة، إنّه عنفٌ بنيويٌّ يشكّل سياسةَ فصل عنصريّ، بشهادة المطران ديزموند توتو الذي أعلن أنّه يجب على المسيحيين أن يروا في إسرائيل دولة فصل عنصريّ، ونوّه مرارا بالشبه الكبير بين النظام الاسرائيليّ ونظام الفصل العنصريّ الجنوب أفريقيّ البائد. وقد كان للكنائس المسيحيّة في فلسطين مواقف متعدّدة تشير فيها إلى أنواع القمع الذي يتعرّض له الفلسطينيّون من قبل نظام الأبارتهايد الاسرائيليّ وتدعو لمقاطعته.

رقم	العام	عدد السنوات الفاصلة عن الحرب السابقة	البلد المعتدى	البلد المعتدى عليها
١	١٧٩٨		فرنسا	مصر
٢	١٨٣٠	٣٢	فرنسا	الجزائر
٣	١٨٨٢	٥٢	بريطانيا	مصر
٤	١٩٠٣	٢١	فرنسا	تونس
٥	١٩١١	٨	فرنسا	المغرب
٦	١٩١١	٠	ايطاليا	ليبيا
٧	١٩١٩	٨	فرنسا	لبنان
٨	١٩١٩	٠	بريطانيا	فلسطين
٩	١٩٢٠	١	فرنسا	سوريا
١٠	١٩٣٦	١٦	بريطانيا - ثورة الفلسطينيين	فلسطين
١١	١٩٤٧	١١	دولة إسرائيل الاستيطانيّة - بريطانيا	فلسطين
١٢	١٩٥٦	٩	فرنسا - بريطانيا - دولة اسرائيل الاستيطانية	مصر
١٣	١٩٦٢	٦	حرب أهليّة (بريطانيا، السعودية، مصر، الأردن)	اليمن
١٤	١٩٦٧	٥	دولة اسرائيل الاستيطانية	فلسطين(الضفة الغربية وغزة), مصر وسوريا
١٥	١٩٧٥	٨	حرب أهليّة (تدخّل إقليميّ ودوليّ)	لبنان
١٦	١٩٧٨	٣	دولة اسرائيل الاستيطانية	لبنان
١٧	١٩٨٠ -١٩٨٨	٢	ايران - العراق	ايران - العراق
١٨	١٩٨٢	٢	دولة اسرائيل الاستيطانية	لبنان
١٩	١٩٩٠	٨	العراق	الكويت
٢٠	١٩٩١	١	الولايات المتحدة الامريكية	العراق
٢١	١٩٩١	٠	حرب اهلية	الجزائر
٢٢	٢٠٠٣	١٢	الولايات المتحدة الامريكية	العراق
٢٣	٢٠٠٦	٣	دولة اسرائيل الاستيطانية	لبنان
٢٤	٢٠١١	٨	(حرب أهليّة (الولايات المتّحدة - فرنسا - بريطانيا - حلف شمال الأطلسي - الإمارات	ليبيا
٢٥	٢٠١١	٠	حرب أهليّة (الولايات المتّحدة، السعوديّة، إيران، الإمارات العربيّة المتّحدة، الأردن، لبنان، العراق، دولة إسرائيل الاستيطانيّة)	سوريا
٢٦	٢٠١٥	٤	حرب أهليّة (السعوديّة، الإمارات العربيّة المتّحدة، إيران، الولايات المتّحدة)	اليمن

جدول رقم ١: أهمّ الغزوات والحروب التي شنّت على (وفي) العالم العربيّ منذ حملة نابليون بونابارت عام ١٧٩٨

خريستو المرّ

تأمّلات في ضوء رسالة الانجيل

كيف يتعامل الإنسان المسيحيّ مع كلّ هذا العنف؟ سنكتفي هنا بالإشارة إلى موقفين مسيحيّين من العنف من خلال رأي للمطران جورج خضر (جبل لبنان للروم الأرثوذكس)، ومن خلال قراءة لنتاج المفكّر اللاهوتيّ كوستي بندلي من خلال كتبه "نضال عنفي أم لا عنفيّ لإحقاق العدالة"، و"المحبّة والعدالة والعنف"، و"النضال اللاعنفيّ ملامح وصور".

الموقف المسيحيّ الأساس هو رفض ممارسة العنف، انطلاقا من مواقف وتعاليم يسوع، ومن فهم المسيحيين أنّ القتل لم يكن يوما من مقاصد الله في الكون، ومن أنّ الإنسان - مهما فعل من شرور - يبقى أخًا/أختًا في عائلة الله الآب. يعبّر المطران خضر عن هذا الموقف في حديث له بعنوان "العنف في منظور اللاهوت المسيحي" بقوله "ولكون العنف يثير العنف، ينبغي أن تعفَّ عنه ليبطل - بغفرانك - البغض الذي حلَّ في خصمك. هذا هو معنى قول الناصري: لا تقاوموا الشَّر. ذلك إنَّ المحبة هي ذروة السعي لمحو الشَّر عند الآخر... أنت مقتنع أنَّ أحدًا لا يؤذي نفسك، ولو أضرَّ بمصالحك أو جسدك. أنت ترى أنّه آذى نفسه فقط، لذلك عيَّنكَ الله طبيبًا له... بالحب". هذا الموقف هو موقف المحبّة المطلقة التي تأنف أن تقتل مهما كان السبب، يمثّلها أيّما تمثيل يسوع المسيح الإله المتجسّد المعلّق على الصليب ضحيّةً بريئة.

أمّا كوستي بندلي، وهو دكتور في الفلسفة وأخصّائيّ في علم النفس، فهو ينطلق من مسلّمة ضرورة إحقاق العدالة على هذه الأرض، وهذه ليست مسلّمة مفروغا منها عند المؤمنين والمسؤولين الدينيّين. ينطلق بندلي من الضرورة الانجيليّة بالتمسّك (١) بمحبّة الأعداء التي تفترض عدم استعمال العنف، (٢) وبمقاومة الشرّ ورفع الظلم عن إخوة يسوع الصغار، فيرى بأنّ النضال اللاعنفيّ هو الوسيلة التي تسمح بتحقيق هاتين الضرورتين الانجيليّتين معًا. ويوضح بندلي أنّ النضال اللاعنفيّ يتفوّق على العنفيّ في نواح عمليّة، فهو، مثلاً، يسمح بشقّ صفوف الخصم، وبمشاركة أوسع من الشعب في تحرير ذاته.

لكنّ تحقيق العدالة يبقى المعيار الأساس عند بندلي. ولذلك رغم تفضيله للنضال اللاعنفيّ لتحقيق العدالة، يرى بأنّه إن استحال النضال اللاعنفيّ، فإنّه من الممكن ممارسة العنف لإحقاق العدالة، على أن يُمارس تحت شروط صارمة منعًا لجنوح العنف إلى التدمير، وانقلابه على غاية العدالة. فبندلي يشدّد أن العنف شرّ، ولكنّه قد يكون أهون الشرّين: شرّ ظلم العدوّ (الداخليّ أو الخارجيّ) الذي يسحق الشعب، وشرّ العنف الذي يلحق بالعدوّ عند استخدام العُنف لإحقاق العدالة.

هكذا، يبقى بندلي مشدودا إلى متطلّبات الإنجيل دون أن يغفل عينه عن الواقع، فيقف موقفًا وسطًا بين موقفين، الموقف الأوّل ينظر إلى العنف برومنسيّة أو بميكيافلّية، متعاميًا عن مخاطر استعمال العنف (كانفلات الغرائز، وانقلاب العنفيّين على المبادئ التي نادوا بها، والتنكيل، وقمع الشعب بعد تحريره)، والموقف الثاني يتمسّك بطهريّة لاعنفيّة تريد إحقاق العدالة ولكنّها ترفض ممارسة العنف مهما كلّف الثمن، فتفوّت على نفسها فرصة العدالة، فتنقلب بذلك على هدفها.

لكن حتّى المطران خضر في رفضه لممارسة العنف، يبدو أنّه لا يتطرّق إلى موضوع الحرب الدفاعيّة، وإنّما إلى موضوع تعامل الإنسان المسيحيّ مع كلّ آخر داخل مجتمع مسالم فيه عدالة وسلام؛ فيقول في حديثه عن العنف في منظور اللاهوت المسيحي: "ألا تقاوم الشرَّ بالشرِّ يتطلب جهادًا روحيًّا كبيرًا **يفترض العدالة مقرونة بالسلام.** أن ترفض لي عدالتي وحريتي هو أن ترفضني من جذوري" (التشديد مُضاف)، وكأنّه بذلك يترك المجال مفتوحا أمام إمكانيّة اللجوء للعنف في حالات انعدام العدالة والسلام. ويؤيّد تفسيرنا هذا مدح المطران خضر، في مقالة أخرى للمناضلين الفلسطينيّين ضدّ دولة الاستيطان العنصريّ الاسرائيليّة؛ فهو

رغـم إيمانـه بالوسـائل اللاعنفيّـة إلاّ أنّـه يقـترب مـن الإقـرار بـضرورة النضـال العنفـيّ بقولـه في مقالتـه "دخـول يسـوع إلى أورشـليم" (النهـار، ٢٧ نيسـان، ٢٠٠٢) "سـتقوم فلسـطين ليـس فقـط بمقادسـها ولكـن **بمجاهديها** الميامـين." (التشـديد مُضـاف). وهـو أعلـن بوضـوح في مقالـة لـه بالفرنسـيّة حـول سرّ الشـكر والتحريـر في مجلّـة كونتاكـت (٢٠١٩) أنّـه "لا يوجـد أيّ مـبرّر للحـرب في الـتراث الآبـائيّ اليونـانيّ، لأنّ الحـرب هـي المـوت. لربّما يمكننـا أن نقبـل الحـرب الدفاعيّـة... أتفهّـم أن يريـد الإنسـان أن يعيـش في الحرّيـة وأن يدافـع عـن مواطنيـه".

عنف الحروب وأثره على الإيمان

برأينـا، علينـا أن نقـرأ رؤيـة بنـدلي المتوازنـة بتـأنٍّ. بنـدلي يسـوّغ العنـف فقـط في ظـروف قاهـرة يسـتحيل فيهـا النضـال اللاعنفـيّ. وقـد عـدّد مبادئ ومعايير ينبغـي أن تضبـط اسـتخدام العنـف في الحـروب، وشـدّد عليهـا: اجتنـاب احتقـار الخصـم وتجريـده مـن إنسـانيّته، تجنّـب مذهبـة العنـف وتمجيـده وإضفـاء مشروعيّـة مطلقـة عليـه، حـصر العنـف في هـدف إزالـة الظلـم، احـترام حيـاة الخصـم قـدر الإمـكان. دون هـذه الضوابـط مـن المرشّـح أن يتدهـور اسـتخدام العنـف (عـلى افـتراض أنّـه يسـتعمل للتحريـر والعدالـة وليـس لتثبيـت سـلطة ظالمـة) إلى قمـع وحـشيّ، وعاجـلا أم آجـلا لا بـدّ أن يتحـوّل هدفه مـن "العـدوّ" إلى النـاس المظلومـين.

في ظلّ مـا تشـهده منطقتنـا مـن حـروب ومجـازر، مـن الواضـح أنّـه مـن السـهل أن ينسى الإنسـان الضوابـط التـي يجب أن تحكـم أيّ لجـوء إلى السـلاح. فقـد رأينـا مـرارا وتكـرارا تيّـاراتَ التزمـت العنـف لتحقيـق العدالـة (عـلى الأقـلّ مـن وجهـة نظرهـا) ثـمّ جنحـت إلى اسـتخدام العنـف دون رادع، بعـد أن مسـخت إنسـانيّة الخصـوم واعتبرتهـم "حـشرات" أو "وحـوش" أو "أوسـاخ" أو "سرطـان" يجـب "تنظيفـه"، فسـوّغت لنفسـها ارتـكاب المجـازر بحقّهـم وحـقّ أطفالهـم ونسـائهم وعائلاتهـم، وممارسـة التعذيـب، وقتـل الجرحـى، وتشـويه الجثـث، وبـرّرت كلّ ذلـك عـلى أنّـه دفـاع عـن النفـس أو عـن الوطـن وإحقاقًـا لعدالـة.

وأبشـع مـا رأينـاه في الحربـين السـوريّة واللبنانيّـة، هـو اسـتخدام الديـن نفسـه للترويـج للأجنـدات السياسـيّة وللجرائـم والمجـازر والأفعـال المشـينة لهـذا الفريـق أو ذاك باسـم المسـيحيّة (وباسـم الإسـلام، وباسـم اليهوديّـة). وضـاع المعيـار الأخلاقـيّ والقانـونيّ، فانجرفـت أعـداد كبـيرة مـن المسـيحيّين في موجـات الدعـوة إلى القتـل والتشـفّي، متهجّمـة عـلى الجرائـم عندمـا تصـدر عـن "الآخـر"، ومـبرّرة إيّاهـا عندمـا تصـدر عـن الفريـق الـذاتيّ. وجـرى في الحـرب السـوريّة مثلا اسـتخدام عبـارة "الدروع البشريّـة" التـي اسـتخدمها جيـش الاحتـلال الأمـيركيّ عنـد غـزو العـراق، ويسـتخدمها جيـش الاحتـلال للكيـان الصهيـونيّ في فلسـطين؛ واسـتخدمت وسـائلَ إعـلامٍ هـذه العبـارة التـي طالمـا انتقدتهـا في مـاضٍ قريـب.

هكـذا، فقـد كان للحـروب واللجـوء إلى العنـف أثـرًا فادحًـا عـلى ترجمـة الإيمـان بالسـلوك، فقـد غـدا ذاك الأخـير في تضـاد مـع متطلّبـات الانجيـل، فخـان الكثـير مـن المسـيحيين والمسـيحيات مسـيحهم، وهـو أمـر يجـب أن يُقـال بوضـوح.

عنف السلم وأثره على الإيمان

بالإضافـة إلى العنـف الدمـويّ المسـتمرّ حتّـى اليـوم، بقـي عنـفُ القمـع اليومـيّ الداخـليّ سـيّد الموقـف بعـد التحـرّر مـن المسـتعمر الخارجـيّ، مـا خـلا فلسـطين التـي تخضـع لاحتلال من قبـل القائمـين عـلى آخـر مـشروع اسـتيطانيّ عـلى وجـه الكوكـب. هـذا العنـف اليومـيّ المسـكوت عنـه، عنـف أزمنـة السـلم، كان لـه أيضـا أثـرًا ملحوظًـا هـو الآخـر عـلى الإيمـان المسـيحيّ، وأدّى إلى تشـوّهات إيمانيّـة بـارزة.

ففـي ظـلّ أنظمـة قمعيّـة لا تـترك للمـرء حرّيـة التعبـير دون خـوف مـن فقـدان حياتـه، أو السـجن التعسّـفيّ، أو التعذيـب، يجنـح المـرء إلى (١) اجتنـاب أيّ نقـد مـن أيّ نـوع لأيّـة سـلطة، (٢) والشـعور بالحاجـة الدائمـة للحمايـة مـن تعسّـفات الحكـم، (٣) وانعـدام الأمـان والثقـة بالآخـر. هـذا

كلّه يدفع بالإنسان إلى مواقف مخالفة للإنجيل، منها اثنين: الأوّل هو اجتناب العمل العام والانطواء على إيمان محصور بالطقوس والخدمة الاجتماعيّة، والثاني هو الاشتراك بممارسة العنف اليوميّ.

الانطواء الطقوسيّ

المسيحيّة ليس دينا "ما ورائيّا" يقضي فيه المرء حياته كأنّه يحيا "خارج العالم"، فيسوع قد صلّى إلى الآب قائلاً "لا أطلب منك أن تخرجهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرّير". لكنّ العيش في ظلّ العنف المعنويّ للأنظمة القمعيّة يؤدّي بالإنسان إلى تضييق هامش اهتماماته إلى دوائر أصغر فأصغر، وحصر اهتماماته في شؤون العائلة والقضايا الكنسيّة الداخليّة؛ والحالة الوحيدة التي عمل فيها المسيحيّون في الشأن العام بشكل بارز كانت في لبنان، ولكنّها حالة عبّرت عند قطاعات واسعة ليس عن الانجيل وإنّما عن مخالفة له ولمتطلّباته، إذ كان حالة انطواء طائفيّ شوفينيّ.

إنّ العنف اليوميّ للأنظمة هو من العوامل الموضوعيّة التي أدّت إلى انطواء على الطقوس، وإلى "زهد" غير إنجيليّ بالشأن العام، وتضخّم غير صحّي لناحية مهمّة من الحياة المسيحيّة - ولكنّها تبقى ناحية وليست كلّ شيء - ألا وهي الصلاة والصوم وكتابات الرهبان، وهي ناحيةٌ تكاد تلتهم كلّ النواحي الحياتيّة الأخرى كالاهتمام بالتربية، وبالأدب، والفنون، والعلوم، بل وحتّى الإنجيل نفسه، إذ يغيب في بعض الأحاديث والكتابات أيّ استلهام ليسوع وكلامه وحياته ويُكتفى بترداد كتابات الرهبان والآباء.

إنّ العنف اليوميّ في أزمنة السلم هو جزء أساس من الأسباب التي أدّت إلى الفصام الذي نراه منتشرا بين الأفكار والأعمال، بين معرفة تفاصيل العقائد وممارسة الطقوس وبين الانسحاب الكلّي من الحياة العامة، وضعف الحسّه النقديّ (الذي يحتاج إلى حرّية)، وانتشار ذهنيّة الخضوع والاستزلام. وحتّى في بلد فيه مجال مقبول من الحرّية كلبنان، تنتشر ذهنيّة الاستزلام والخضوع بسبب انتشار العنف المعنويّ المتمثّل بالاستغلال والتفقير ورمي الفئات من الحقوق مقابل الخضوع الاعمى للسياسيّين.

الفصام والاشتراك بممارسة العنف اليوميّ

في ظلّ التربية على الخضوع، والخوف، والعيش على مستوى تزوير الوجود، يُدفع المواطن بحكم الأجواء القمعيّة (الجسديّة أو المعنويّة) إلى الكذب، فيَشكر المتسلّطين عندما يُطلب منه ذلك، ويعيد انتخابهم أو "مبايعتهم" (والاثنين لا يختلفان سوى بالشكل في ظلّ التلاعب بقوانين الانتخابات)، ويحيا المواطن عامّة في خوف من "الأقوى"، وتحامل على "الأضعف" للتعويض عن واقعه.
هذا الوضع هو أيضًا وراء انتشار العنف، والخضوع والتسلّط معا (وهما دائما يترافقان)، في الكنيسة بين الإكليروس، وبين الشعب والإكليروس، وفي المجتمع عامّة. وهذا يعكس من جديد العيشِ الفصاميّ بين متطلّبات الإيمان المعروفة فكريًّا، وبين العيش العمليّ لها.

تبيّن علوم النفس أنّ الفراغ الداخليّ الذي يعيشه الإنسان المقموع، فراغ التهميش والإذلال، يؤسّس للمرارة، ولتصاعد الغضب، ولتصاعد عنفٍ كامنٍ ينتظرُ اللحظة المتاحة لينفجر. بيد انّ الشعور الداخليّ بالرغبة في الانتقام مخيفٌ في ظلّ القمع، لهذا يهرب الإنسان منه بالمزيد من الرضوخ وإظهار عكس ما يشعر، في كبتٍ للمشاعر عن مستوى الإدراك والوعي، فيعيش على مستوى تزوير الوجود. هكذا يُظهر الإنسان الطاعة والرضوخ ويخفي ذاتاً مهزومة تنفجر في عنف مدوٍّ عند أقلّ مشكلة. وإن كان البعض يظهر مظاهر "القوّة" إلاّ أنّه راضخ لمن هو " أقوى" ويحيا في تزوير الوجود نفسه، وحتّى أعلى الهرم المهزوم أيضًا أمام الحامي الخارجيّ.

ولكنّ الوضع الفصاميّ وتزوير الوجود ليسا حكرا على الأنظمة القمعيّة السافرة، فهو وضع يشترك فيه أيضا المواطنون في بلدان ذات نظمٍ استغلاليّةٍ ولو كانت تتمتّع بهامش من الحرّية، كلبنان، فالمواطن فيها يعيش في خوف

دائم: من المرض، من الفقر، من البطالة، إلخ. فإذا به يبدي الإعجاب والرضوخ للزعيم السياسيّ، ويخفي الذلّ والغضب والرغبة بالانتقام. إنّه الانشطار الكيانيّ نفسه.

خلاصة: أيّة وسيلة للنضال وإحقاق العدالة؟

يسوع كان مواجها للسلطة الدينيّة والسياسيّة، ويجب التأكيد على أنّ النضال من أجل حياة الانسان هو الموقف المسيحيّ المنسجم مع الانجيل. كما يجب التأكيد أنّ الوسيلة المنسجمة مع الإنجيل هي النضال اللاعنفيّ. ولكن، في حال انتفت القدرة على النضال اللاعنفيّ، يجوز الانطلاق من ضرورة جمع مسؤوليّة وصيّتيّ محبّة الأعداء والدفاع عن المستضعفين، للقيام بنضال عنفيّ كحلّ أخير لتحقيق العدالة، لكن في ظلّ شروط صارمة من احترام الإنسان.

إنّ الحروب التي تشنّ لإخضاع شعوب العالم العربيّ واستغلال موارده؛ ونظام الأبرتهايد الاسرائيليّ الذي يُخضع الفلسطينيّين لسياسات التمييز العنصريّ وأنواع القمع والقتل المُمَنهج، كما والأنظمة العربيّة التي تُخضع شعوبها للعنف البوليسيّ والمعنويّ (استغلال)، يولّدان العنف في المجتمع. هذا الوضع يولّد أخطارا إيمانيّة منها كالانطواءً على الطقوس، والانسحاب "الطهريّ" غير الطاهر من العالم، والتزوير الوجوديّ، والفصام الحياتيّ، والعنف اليوميّ الذي يتفلّت عنفًا أعمى يُترجم ارتكابًا لمجازر، وتهليلاً لها، واستخداما لله لتبريرها، وتقديسًا لسياسات قمعيّة واستغلاليّة. إنّ أحد المشاكل الكبرى التي تعاني منها الكنائس، برأيي، هو أنّ آثار العنف السافر (القمع) والخفيّ(استغلال) على الإيمان في أزمنة السلم لم تُحلّل كفاية، ولهذا لا يوجد تشديد تربويّ مسيحيّ على ضرورة مواجهته والحرص على الانتباه من مخاطِره.

إنّ الكنيسة تحتاج إلى التحديق بكلّ وضوح بالظلم والعنف البنيويّين المرسومَين في الأنظمة، والمساهمَين بتشويه الإيمان، وإدانتهما عوض غضّ النظر عنهما. إنّ البلاد العربيّة التي يقطنها مسيحيّون، تفتقر في الحقل العام إلى **التزام مسيحيّ، إنجيليّ، لا طائفيّ، لا عُنفيّ، يعمل لتحرير الإنسان من العوز المادّي (الاستغلال) ومن العوز المعنويّ (العوز إلى الحرّية)**، التزاما يعمل مع الجميع في المجتمع، من أجل "المدينة الآتية" (عبرانيين ١٣: ١٤) برسم ملامحها في الحياة العامّة في المدينة **الحاضرة** أحياءَ في الزمن الذي يأتي "وهو اليوم حاضر"، شاهدين "للحقّ الحاضر" (٢ بطرس ١: ١٢)، عدلا وحرّية وكرامة ينعم بها جميع خلق الله.